الفصل الرابع:
الإسلام وعناية الوالدين بأبنائهم
في مرحلة الصبا والشباب

وبتوجيه الوالدين لأبنائهم وبناتهم إلى الالتزام بأداء الصلوات الخمس وصوم رمضان منذ صغرهم، وخصوصا بعد أن نشأوا على حبها - يضاعف الله تعالى لهم الثواب والأجر، بقدر إخلاصهم في هذا الالتزام. فإبليس اللعين يتسلط بكل قوته على الصبية والشباب الملتزمين؛ حتى يفسد عليهم عبادتهم وإخلاصهم لله تعالى. وينحرف بهم عن الصراط المستقيم، وهو الطريق إلى الله سبحانه.. لكن الشريعة الإسلامية ذات المحجة البيضاء - تفوت على الشيطان الرجيم وأعوانه الملاعين هذه الفرصة؛ لتضمن للفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم بالسلوكيات الحميدة المسئولة - السعادة في الدارين، دار النعيم المؤقت، ودار النعيم الدائم. فنجد ثمار الالتزام، بالطريق إلى الله تعالى، خيرا وبركة في الحياة الدنيا، وأمانا واطمئنانا وسعادة في الدار الآخرة للفتية والشباب..

في القرآن الكريم: ففى القرآن الكريم ومجال التمسك بعقيدة التوحيد الخالص لله تعالى والإخلاص في عبادته وحده لا شريك له - نجد ثمار هذا الإخلاص متمثلة في قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢][1].. ويحيط الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم والمسلمين جميعا بعاقبة الشرك؛ حتى يعتبر

(1) لم يلبسوا: لم يخلطوا.

ويمتنع كل من تحدثه نفسه الأمارة بالسوء، أن يشرك بالله العظيم، فيقول سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾} [الزمر: ٦٥]. فالشرك يضيع ثواب العمل الصالح، ويؤدى إلى الخسارة المؤكدة في الدارين. وقد أكد الرسل جميعا، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة. ففى سورة الصافات والبقرة وآل عمران وغيرها من سور القرآن الكريم، يؤكد ربنا جل جلاله، أن الغاية الكبرى من خلق الجن والإنس، هى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به. ولذلك كان أول ما أوصى به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، لكل مولود من البشر أن يُؤَذَّن في أذنه اليمنى، وتقام الصلاة في أذنه اليسرى، حال ولادته. ليكون أول ما يسمعه في حياته الدنيا هو معرفة الله ورسوله ورسالة الإسلام الخالدة، التي قال عنها ربنا تبارك وتعالى: { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: ٨٥].. وبذلك يُهَيّأ الطفل منذ بداية حياته وفى صباه وشبابه، وفى رجولته وشيخوخته - لتحمل هذه المسئولية. وهو في ذلك يقتدى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبمن سبقه من المرسلين الذين حرصوا على أن تتبع ذريتهم وأتباعهم طريق عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين..

ويتضح من ذلك أهمية دور الوالدين تجاه أولادهم وبناتهم في مرحلة الصبا والشباب، كما كان الحال في مرحلة الطفولة.. فلقمان عليه السلام يحذر ولده من الميل إلى عقيدة الشرك، ويوجهه إلى عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى. ويقول عز وجل في هذا الشأن:{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾} [لقمان: ١٣]. فأول ما يعظ به لقمان ابنه هو تجنب الشرك والتمسك بعقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين. فالشرك -

ولا شك - ظلم للمشرك ولأهله وعشيرته، وظلم للمجتمع كله. وفوق كل ذلك هو ظلم لله تعالى الغنى عن الشرك والشركاء.. ويحرص نبى الله يعقوب عليه السلام على الاطمئنان على عقيدة أبنائه بعد وفاته. فيجمع أولاده من حوله - عند إحساسه بدنو أجله - ويقول لهم:{مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى} [البقرة: ١٣٣]؟ فيقولون:{نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٣]. فيطمئن قلبه قبل موته ويسلم روحه لله تعالى وهو قرير العين..

وفى ظل الصدق والإخلاص في عقيدة التوحيد، يزداد الصبية والشباب اقتناعا بالشخصية المسلمة، التي ترفض التقليد وتلجأ إلى العقل في أمور العقيدة؛ حتى تكون سليمة مفيدة خالصة من شوائب الشرك بالله تعالى.. وقد سبق أن عرفنا أن كل إنسان يولد على الفطرة وهى الطريق المستقيم إلى الله عز وجل. فقد أوجب سبحانه أقوالا وأفعالا توصل إلى طريقه المستقيم، من عبادات ومعاملات وطاعات، وتعريف بمخالفات هذا الطريق. وعلى الإنسان، إذا أراد الحفاظ على فطرته التي خلقه الله عليها، أن يرفض تقليد الآباء والأجداد في كل قول أو فعل يحجب الطريق إليه سبحانه. ولما كان الأجداد والآباء قبل الإسلام، يتسلطون على أولادهم، ويطلبون منهم الطاعة العمياء في ممارسة عبادات تؤدى إلى الشرك بالله جل جلاله، دون مناقشة، ودون رجوع إلى العقل - فإن الإسلام رفض ويرفض أسلوب التقليد، وخصوصا فيما يؤدى إلى بطلان عقيدة التوحيد الخالص لله الواحد القهار..

وفى القرآن الكريم ما يحذر من التقليد وينادى الآباء وأبناءهم وبناتهم بالاحتكام إلى العقل؛ للتفريق بين النافع والضار والحلال

والحرام. وقد سلك هذا النهج الكريم أنبياء الله تعالى ورسله ودَلُّوا قومهم عليه.. فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقف في وجه آبائه وأجداده من المقلدين الذين لا يحتكمون إلى العقل، ويسلمون أنفسهم في النهاية إلى الشرك وعاقبته الخاسرة. وكان على رأس هؤلاء المقلدين، أبوه آزر. فتوجه إبراهيم عليه السلام إلى أبيه بمنطق العقل. وطلب منه الاحتكام إليه في هذا الأمر. وأخذ ينصحه ويحذره قائلا: {يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥} [مريم: ٤٢ - ٤٥].. وكما نصح إبراهيم الخليل أباه، كذلك توجه بالنصح إلى قومه الذين كانوا ينهجون نهج أبيه آزر في الاشراك بالله سبحانه. وأخذ يتدرج معهم في طريق الشرك حتى وصل إلى نهايته الضالة. وأوضح لهم بما لا يدع مجالا للشك، أن طريق الله واضح لا يحتاج إلى شرك أو شريك. ويتجلى ذلك في قوله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩} [الأنعام: ٧٥ - ٧٩]..

وامتدادا لهذا الاتجاه الربانى في مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد الخالص لرب السموات والأرض وما بينهما - يدعو ربنا عز وجل

الفتية والشباب إلى عدم التأثر بنزغات الشيطان، وبما تأمر به النفس الأمارة بالسوء، من أخطاء وانحرافات، قد تؤدى بالشباب والفتية والفتيات إلى طريق النار، وتبعدهم عن طريق الجنة. وفى هذا الإطار ظل إبراهيم عليه السلام - وكان شابا في ريعان شبابه - ينصح أباه وقومه حتى تبرم أبوه آزر وقومه من ميل إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وتمسكه بذلك، وإلى بغضه للشرك والشركاء. فقرر قومه أن يعاقبوه..{ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾} [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة: " لما أرادوا إحراق إبراهيم جمعوا له حطبا مدة شهرين. حتى كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبا لحرق إبراهيم، ثم جعلوه في حفرة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها لهب عظيم، حتى إن الطائر يمر من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرها، ثم أوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، فجاء إليه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبى من سؤالى علمه بحالى. فقال الله:{يَٰنَارُ [1] كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ } [الأنبياء: ٦٩][2].. وهكذا نجى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بكلمة كن من الاحتراق في النار بعد أن أبطل سبحانه عملها وعكس مهمتها فكانت بردا وسلاما عليه. ولم تحرق منه النار إلا وثاقه أو موضع الكتاف

(1) سجلت بالإملاء اللغوى خلافا لثبوتها في القرآن الكريم لتعذر وضع الف المد فوق الحرف. ومثلها يابنى. ومثلها يا إبراهيم.

(2) القرطبى303/11. وانظر القسم التاسع من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى ص17 تفسير الآية 69 من سورة الأنبياء - المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب كانت ترمى بها حجارة على الأسوار فتهدمها.

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المفسرين. فقد قال رسول الله الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن: ♂**لما أُلقى إبراهيم في النار، قال: حسبى الله ونعم الوكيل، فما احترق منه إلا موضع الكتاف**♂ [1]. وقال ابن عباس رضى الله عنه: " لو لم يقل الله: (وسلاما على إبراهيم) لآذى إبراهيم بردها " [2]... وهكذا نجى الله عز وجل إبراهيم عليه السلام من عذاب الاحتراق بنار الدنيا بفضل تمسكه بعقيدة التوحيد والإخلاص فيها لله رب العالمين. مما جعل أباه آزر يتعجب من تعطيل نظام الطبيعة الذي جعل النار المحرقة بردا وسلاما على إبراهيم، وقال له قولته المشهورة " نعم الرب ربك يا إبراهيم " [3].. وذلك رغم بقائه على إشراكه. ولو استعمل عقله منذ بداية الدعوة التي وجهت إليه لنبذ الشرك وعبد الله وحده وأراح نفسه وقومه وولده...

وفى المجال الإجتماعى: يوجه الإسلام الآباء والأمهات إلى نصيحة آبائهم وبناتهم بتوجيههم إلى مجموعة من عزائم الأمور الاجتماعية وعظائمها لأهميتها في إقامة حياة سعيدة في الدنيا والآخرة. وفى مقدمة هذه الأمور إقامة الصلاة التي هى عماد الدين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على أقدار الله جل وعلا. فيقول سبحانه على لسان لقمان عليه السلام ناصحا ولده:{يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧} [لقمان: ١٧]. وكلها أمور تجعل حياة المسلم والمسلمة سعيدة مستقرة نافعة.. ولا ينسى لقمان في هذا

(1) رواه ابن النجار عن أبى هريرة ص120من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - الكتاف: الوثاق.
(2) انظر ص17من القسم التاسع من المرجع صفوة التفاسير.
(3) رواه أبو هريرة ص106من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق الأنصارى.

المقام، أن يحذر ولده من التكبر على عباد الله وغمطهم بحجة أن الشباب - وهو منهم - هم العنصر الفاعل في المجتمع الإسلامى، وهم الذين يقودون مجتمعهم إلى التنمية والرقى. والشباب وإن كانوا كذلك فإنهم يستشيرون الرجال والشيوخ في المجتمع، فهم الذين يحملون في جنباتهم الخبرة اللازمة باستفادتهم من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة. ومن هنا يوجه الإسلام الآباء والأمهات إلى تنبيه أبنائهم وبناتهم إلى التواضع وعدم التكبر والتهوين من شأن الفئات الأخرى في المجتمع. ويقول ربنا عزو جل في ذلك أيضا على لسان لقمان عليه السلام موجها ولده الشاب{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾} [لقمان: ١٨][1].

وهناك توجيهات ربانية أخرى ينصح بها الوالدان أبناءهما الشباب من البنين والبنات، مستفيدين من البرنامج القرآنى في إرشاد الصبية والشباب والفتيات في المجال الاجتماعى. فهم يوجهونهم إلى الاعتدال في المشى وفى تصرفاتهم المتعددة في الحياة اليومية، والاعتدال كذلك عند الكلام بغض الصوت في الزمان والمكان اللازمين لذلك. ويوجه لقمان عليه السلام ابنه وأبناء المسلمين جميعا إلى ذلك في قوله تعالى على لسانه:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩][2]. فالتوسط في المشى بين الإبطاء والسرعة مطلوب من الصبية والشباب والناس جميعا؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**سرعة المشى تذهب بهاء الوجه**ـــ [3].

(1) غمط الناس: التقليل من شأنهم والترفع عليهم - تصعير الخد: إمالته عن الناس.
(2) اقصد في مشيك: توسط فيه بين البطء والسرعة.
(3) رواه أبو نعيم 85 من مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

وكذلك التوسط في الأقوال والأفعال وكافة التصرفات المطلوبة في الحياة اليومية، مطلوب في الأحوال الكثيرة التي تتطلب ذلك. ومثل ذلك خفض الصوت عند الحديث أثناء المشى أو الوقوف في الطرقات والشوارع وخصوصا في وقت الليل. فعلو الصوت في مثل هذه الأماكن والأوقات فيه تشبيه بالحمير التي يعلو صوتها فيها دون تمييز بين وجوب خفض الصوت وعلوه؛ لأنها حيوانات لا تعقل ولا تميز. قال قتادة: " أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق " [1]. وقال الحسن رضى الله عنه: " كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات، فرد الله عز وجل عليهم بأنه لو كان خيرا لفضلتهم به الحمير " [2]...

وتمشيا مع الفضائل الاجتماعية التي ينفع بها الوالدان أولادهما وبناتهما - يوجه القرآن الكريم الأبوين إلى حث أولادهم وبناتهم على الصبر وحسن التصرف في توجيه طاقتهم الشبابية الجنسية إلى أشياء مفيدة لحين تمكنهم من الزواج. فيقول سبحانه:{وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} الآية [النور: ٣٣]. فعلى هؤلاء الشباب الذين لا يجدون باءة الزواج أن يَعِفُّوا عن نساء الناس وبناتهم فلا يتعمدون إيذاءهن بقول أو فعل إلى أن يتمكنوا من الزواج الشرعى، والوفاء بكل متطلباته. وعليهم أن يتسلحوا بالصوم فهو وجاء[3] لهم من الانزلاق وراء الشهوات المدمرة لشبابهم. وعليهم أن يمارسوا أنواع الرياضة المختلفة حتى يصرفوا طاقتهم تصريفا

(1) ص28من القسم 12من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.
(2) ص28من القسم 12من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.
(3) وجاء: حافظ.

شرعيا مفيدا. وعليهم أيضا أن يأخذوا بمبادئ وتعاليم الإسلام التي تعصمهم من الزلل والانحراف. فربنا عز وجل يعين من يسير في هذا الاتجاه، ويهديهم إلى طريق الخير.. ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**ـــ [1]. فالصوم حافظ لهم من الانزلاق وراء شهواتهم الحيوانية المدمرة.

واستمرارا في التوجيهات القرآنية الاجتماعية لحفظ الشباب يوجه كتاب الله العزيز الوالدين إلى وجوب الحذر من دخول الأبناء على والديهم في أوقات ثلاثة يميل فيها الوالدان إلى الراحة، وقد يخففون ملابسهم في هذه الأوقات. لذا أوجب الإسلام على أبنائهما وبناتهما الاستئذان قبل الدخول عليهما في حجراتهما الخاصة في الأوقـــات المشار إليها في قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨} [النور: ٥٨][2]. وهكذا يوجه القرآن الكريم الصبية والشباب والفتيات للنظر إلى آبائهم وأمهاتهم بنظرة الاحترام والطاعة والتعاون المتبادل على البر والتقوى، وإعلاء كلمة الله، وإعلاء شأن الأسرة المسلمة وما يتفرع عنها مستقبلا...

(1) رواه الجماعة ص160من كتاب مختار الأحاديث النبوية - الباءة: مصاريف الزواج.
(2) الذين ملكت أيمانكم: إماؤكم وعبيدكم - الذين لم يبلغوا الحلم منكم: لم يبلغوا سن التكليف والبلوغ.

وفى مجال طاعة الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم وتعاونهم فيما بينهم بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه بهذا الخصوص - نجد الأسوة الحسنة في إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وهو جد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.. فقد رأى أبوه إبراهيم عليه السلام في منامه، أنه يذبح ولده إسماعيل. ورؤيا الأنبياء حق ويجب تحقيقها. وقد حزن أبو الأنبياء إبراهيم لهذه الرؤيا حزنا شديدا. لكنه تمالك نفسه وأذعن للأمر الإلهى. فأخذ سكينا حاميا وأخفاه في ملابسه. وسار بابنه إسماعيل في أعماق الوادى وسلك طريقا لا يسير الناس فيه عادة. وتوقف إبراهيم في المكان المعروف الآن بالمشعر الحرام بمنى. وهناك صارح ولده إسماعيل بالرؤيا التي رآها في منامه وبحزنه العميق من أجل ذلك. وقد فطن إسماعيل لغرض أبيه ولسيره في هذا الطريق غير المسلوك، فبادل استسلام أبيه لأمر الله وقضائه بالامتثال. واكتمل المشهد الرائع بتشجيع إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام - على تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى رغم ما في ذلك من حساسية شديدة وفجيعة؛ حتى لا تأخذ إبراهيم الشفقة فيتراجع عن التنفيذ. وازداد المشهد روعة بوصية إسماعيل لأبيه قبل الذبح، وهى وصية مشهورة، قال فيها إسماعيل مخاطبا أباه ومحفزا له على تنفيذ أمر الله جل جلاله: " يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب.. واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن.. واحدد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون الموت أهون علىَّ.. وإذا أتيت أمى فأقرئها منى السلام.. وإن أردت أن ترد قميصى عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى ". فلما سمع الأب إبراهيم وصية ولده له وامتثاله لأمر الله الجليل، قال له: " نعم العون أنت يابنى على

أمر الله " [1].. وتكتمل روعة الفداء فيظهر إبراهيم السكين الذي أخفاه عن ولده، ويكبه على وجهه، ويهوى بها على حلقه، لكن السكين الحامية الحادة لم تذبح. وسمع إبراهيم الخليل نداء ربه عز وجل:{فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧} [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧][2]..

وهكذا يكتمل المشهد الرهيب فيفدى الله الكريم الجليل نبيه إسماعيل عليه السلام، بفداء يتناسب مع جوده بروحه امتثالا لأمر ربه جل وعلا وأمر أبيه.. وطمأنة وتثبيتا وتكريما لصدر أبيه إبراهيم الذي امتثل لأمر ربه العظيم، جُعِلَ الذبح في ذلك الوقت من كل عام هجرى إحياء لهذا الموقف البطولى من الأب والإبن على السواء. فلكل من يساهم في إحياء هذه الذكرى العطرة بالذبح لأضحيته أجر عظيم من الله الكريم حيث تعينه يوم القيامة على اجتياز الصراط إلى جنة النعيم دار الخلد. وأما في الدنيا فتغفر كل ذنوبه مع آخر قطرة تنزل من دمها بعد ذبحها. وفى ذلك يقول ربنا عز وجل تخليدا لهذه الذكرى وتوجيها للمسلمين باستمرار هذه المناسبة البطولية:{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢} [الكوثر: ٢].. ويقول عز وجل:{ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ} [الحج: ٣٦] الآية. ويقول جل جلاله{ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ} الآية [الحج: ٣٧]. وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:♂**ماعمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله**

(1) ص18من القسم الرابع عشر 12من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.
(2) تله الجبين: أكبه على وجهه ليذبحه.

من إهراق دم. وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها. وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا" [1]. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂"ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد" [2]. وقال مجاهد: "{لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} [الحج: ٣٦] قال: أجر ومنافع " [3]. وسلط إبراهيم النخعى الضوء على ما فيها من منافع دنيوية فقال: " يركبها ويحلبها إذا إحتاج إليها " [4].

وجزاءً لوفاء وطاعة الابن إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام، وللتعاون بينهما في مجال التضحية والولاء لله رب العالمين، كافأ إبراهيم ولده إسماعيل بأن طلب منه أن يرفع معه قواعد بيت الله الحرام بعد أن حددتها الملائكة لهما؛ حتى يكتمل للمسلمين نسكهم، فيزدادا ثوابا وبركة من الله جل جلاله في داريهما الفانية والباقية. ويقول رب البيت سبحانه في ذلك:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].. وهكذا يتراءى للجميع أن رضاء الوالدين من رضاء الله تعالى. ولذلك يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : " من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله " [5]...

(1) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ص212من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.
(2) رواه الدار قطنى في سننه. نفس الصفحة من المرجع السابق.
(3) نفس الصفحة من المرجع السابق.
(4) نفس الصفحة من المرجع السابق.
(5) رواه البخارى عن أنس ص139 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم

ومن الأمور الاجتماعية الهامة في مرحلة الصبية والشباب اهتمام الوالدين بدعم مستقبل أولادهم وبناتهم بأقصى قدر من الاستطاعة. فلا يجب أن ينشأ الأبناء عالة على الآباء والأمهات أو عالة على المجتمع؛ لأن ضعف الأبناء أو تقاعدهم عن الكسب وعن الاعتماد على النفس فيه - يؤدى حتما إلى ضعف الأسرة والمجتمع الإسلامى. ويحذر القرآن الكريم المسلمين جميعا من هذا الأمر. فيقول عز وجل: {وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾} [النساء: ٩].. فدور الوالدين هنا طمأنة ذريتهما الضعيفة بعبارات العطف والحنان التي تشجعهم على شق طريقهم في الحياة دون خشية ضعف أو فقر أو غيرهما. وكذلك يُطَمْئِنُ الوالدان مَنْ تحت رعايتهما من اليتامى - إن وُجِدوا - إلى عدم خشية الفقر، حتى يعيشوا مطمئنين إلى رعاية الله ثم الكافلين والمجتمع الإسلامى لهم، فيتشجعون، ويتجه القادر من الأبناء واليتامى إلى العمل على الكسب الحلال، وعدم الإتكال على الآباء والكافلين. بل إن الإسلام أمر أتباعه بتحسين وضع هؤلاء الأبناء واليتامى الضعفاء وهدايتهم إلى بداية الطريق الصحيح للكسب. وقد سبق أن تحدثنا عن تنمية أموال اليتامى بالاتجار فيها لهم. وبذلك يطمئن هؤلاء وأولئك على مستقبلهم في ظل الثقة والتعاون والأمن المتوفر في الأسرة والمجتمع الإسلامى طبقا لتعاليم الإسلام.. فقد نهى الإسلام أتباعه عن قهر اليتيم وانتهار السائل. فتطييب خاطرهما بكلمة طيبة أفضل بكثير من قهرهما بكلمة جارحة للشعور مثبطة للعزيمة القوية على العيش الكريم. وربنا جل شأنه يقول:{فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: ٩ - ١٠]. ويقول

السيد أحمد الهاشمى.

أصدق القائلين سبحانه:{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾} [البقرة: ٢٦٣]. ففى الآية الكريمة حث وإغراء لمعاملة الفقير والمحتاج بالحسنى ولو بكلمة طيبة يغفر الله لقائلها ذنوبه جزاء هذا الدعم المعنوى للفقير والمحتاج واليتيم..

وكذلك نهى الإسلام عما كان يحدث في الجاهلية من قتل بعض الآباء لأبنائهم خشية الفقر. فربنا الخالق الرازق العظيم قد تكفل برزق الآباء والأبناء. والإيمان به سبحانه وبقدره واجب. يقول جل شأنه: { وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾} [الإسراء: ٣١]. فهو سبحانه يُطَمْئِنُ من يهمون بقتل أولادهم خشية الفقر بأنه كريم جواد يتكفل برزق هؤلاء الأولاد كما يتكفل برزق أبائهم. فلا داعى إطلاقا لقتل الأبناء خشية الفقر. فالأبناء والبنات نعمة من الخالق عز وجل لعباده يجب الحفاظ عليها وطمأنتها ورعايتها بدلا من إهانتها وقتلها. والأولاد كذلك يساعدون آباءهم وأمهاتهم عند الكبر. فلا يجب أن يَحْرِم الوالدان أنفسهما من هذا الخير القادم والمتوقع. فيقول المولى سبحانه:{وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥]...

ويحث الإسلام الآباء والأمهات على نصح أبنائهم بالتزام الإسلام وتعاليمه وآدابه إذا هم مالوا إلى الكفر وتركوا الإسلام، وأصروا على الإشراك بالله عز وجل، والكفر بالبعث والنشور والحساب،

وفى ذلك يقول ربنا الكريم:{ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾} [الأحقاف: ١٧][1]... وعلينا أن نتذكر موقف نوح عليه السلام من ابنه الكافر. إذ عندما دعاه أبوه إلى الإسلام واللحاق به وبالمؤمنين لينجو من الغرق الذي كتبه الله تعالى على الكافر من قومه ظل على كفره وقال:{سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ } [هود: ٤٣].. فلم ينفعه إيمان أبيه ولا نبوته وظل على كفره حتى مات عليه غريقا مع الكافرين...

لكن حرص الوالدين على أمن أولادهم وبناتهم وعلى سعادتهم لا يجب أن ينسيهما - ولو لحظة - أن العمل من أجل الآخرة واجب، وأن السعادة في الآخرة آكد وأبقى. فمن فاتته سعادة الدنيا، فسعادته في الآخرة محفوظة، لكنها مرهونة بعمله الصالح في الدنيا، وتقواه لله جل جلاله. ولذا يقول ربنا سبحانه:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } [آل عمران: ١٤].

وفى الإطار الاجتماعى لاهتمام الإسلام بالصبية والشباب يدعوهم ربنا عز وجل إلى قيام الليل أو جزء منه تعبدا لله سبحانه وتعالى. حيث إن ذلك سيجعل الشباب والفتيات سليمى العقل والجسم. فيقول لهم الحكيم العليم:{إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾} [المزمل: ٦]. ولهم في ذلك أسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) أخرج: أبعث - خلت: مرت وفاتت.

وصحابته الكرام وتابعيهم. إذ يقول جل شأنه لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤} [المزمل: ١ - ٤]. ويقول له أيضا:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ} الآية [المزمل: ٢٠].. وفى هذا الإطار نصحت أم سليمان ابنها سليمان عليهما السلام، بأن يقوم الليل أو جزءا منه تعبدا لله تعالى؛ لأن كثرة النوم به تجعل الإنسان فقيرا يوم القيامة. فقد روى البيهقى عن جابر رضى الله عنهما: قالت أم سليمان بن داود لسليمان " يا بنى لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيرا يوم القيامة " [1]... كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من عدم قيام الليل أو جزء منه وبين لهم أن مِنْ فوائد هذا القيام الدنيوية أنه يكون مطردة للداء من الجسد. فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم. وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء من الجسد**ـــ [2].

بل إن هذا الحديث الشريف أورد جملة من فضائل قيام الليل؛ فهو طريق الصالحين من خلق آدم إلى يوم القيامة، وفيه تقرب لله جل جلاله، وفيه نهى دائم وقوى عن ارتكاب الآثام والمعاصى، وفيه تكفير للسيئات التي يرتكبها المسلم في فترات ضعفه أمام وساوس الشيطان الرجيم. وفيه أيضا قوة للبدن تجعله قادرا على طرد العلل والأسقام والأمراض. وهذا من فضل الله العلى القدير... وبقدر ما يكون الشباب والفتيات مطيعين لآبائهم وأمهاتهم يجب أن يكونوا على حذر من اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء وأصفياء لهم، إن كان

(1) ص108من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.
(2) رواه أحمد عن بلال ص99من نفس المصدر.

هؤلاء الآباء والإخوان يحبون الكفر ويفضلونه على الإسلام. إذ أن في ذلك ظلم للأبناء وكذلك للآباء والإخوة؛ لأن طريق الله تعالى المستقيم الخالص من الشرك والشركاء - أحق بالإتباع. ولهذا يقول لهم جل شأنه: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾} [التوبة: ٢٣]..

وفى هذا الإطار الاجتماعى الهام يحذر الإسلام الآباء من أبنائهم وزوجاتهم؛ فقد يسير هؤلاء الأبناء وأمهاتهم في طريق الضلال ويمنعون آباءهم من فعل الخير كما منع بعض الأولين من النساء والبنين آباءهم من إكمال دينهم بالهجرة مع بقية المؤمنين. وعلى الآباء حينئذ التمسك بطريق الإسلام الذي يتطلب فعل الخير كبقية المسلمين وعليهم في الوقت نفسه أن يعفوا ويصفحوا عن أبنائهم وأزواجهم، فيقول لهم المولى تبارك وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾} [التغابن: ١٤].. وفى هذا الإطار كذلك يحذر القرآن الكريم شباب المسلمين من التكاسل والانصراف عن حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وعن طاعتهما، وعن الجهاد في سبيل الله. وذلك بالانغماس في الملذات والشهوات الدنيوية والفخر بالآباء والأبناء والأزواج والعشائر، وجمع الأموال. فكل ذلك نعيم مؤقت لا يغنى عن النعيم الدائم في الآخرة. فيقول الله الفرد الصمد آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُحَذر هؤلاء من هذا السلوك الضال:{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ

إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ } [التوبة: ٢٤].. فطريق الله الآمن الباقى أحق أن يتبع. وبالجملة فقد وجه القرآن الكريم الفتية والشباب وفقا لهذا المنهج الاجتماعى المتكامل الحكيم الذي ذكرنا جوانبه المتعددة - إلى الطريق القويم، طريق الله جل جلاله، والصبر على السير فيه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق من الرزق الإلهى الحلال الطيب، وفعل الحسنة بعد السيئة لكى تمحها، كما وعدهم الله تبارك وتعالى بأنهم إن ساروا في هذا الطريق المستقيم النافع - فإن مصيرهم يكون إلى الجنة. فيقول رب العالمين سبحانه: {وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤} [الرعد: ٢٢ - ٢٤]..

وننبه صبية المسلمين وشبابهم إلى أن مقاومة الشر وعدم الانسياق وراء وساوس الشيطان الرجيم، يعتبر أساسا للسير في طريق الله عز وجل. وعلى الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم وبناتهم ذلك.. وللمسلمين جميعا والشباب منهم - قدوة حسنة في يوسف عليه السلام، وهو الصِّدِّيق الصادقُ الأمين. فقد كان شكله جميلا وحسنه فائقا. تربى في بيت رجل كريم من مصر. وعندما شبَّ عُودُهُ واستوى، راودته امرأةُ سيِّدِهِ التي هو في بيتها ليمارس معها الفاحشة. وأغلقت أبواب دارها عليه بل وأحكمت إغلاقها؛ حتى لا يستطيع الهرب. وهيأت له طريق الزنى بكل إمكانياتها. لكن يوسف عليه السلام، رد عليها وعلى شيطانها الرجيم، ردا حاسما، تجاوب فيه مع نداء الله تبارك وتعالى. وسد عليها سبل الشيطان إلى

فعل الخطيئة. وبادل سيده إخلاصا بإخلاص. ويقص علينا المولى تبارك وتعالى مادار في هذه اللحظات الحاسمة التي هرب فيها يوسف من فعل الفاحشة وقهر النفس كما يهرب الإنسان من الوحش المفترس فيقول سبحانه: {وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾} [يوسف: ٢٣ - ٢٨] لقد قاوم يوسف الشيطان الرجيم والتزم طريق الرحمن الرحيم فكان الله عز وجل معه، وأدرك سَيِّدُهُ أنه بريء من التهمة الملصقة به فصرف النظر عما نسب إليه، وحذر زوجته ونصحها أن تعود إلى الله وتترك الشيطان وطريقه وحزبه، فقال المولى الكريم على لسانه:{ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾} [يوسف: ٢٩].

وهناك أغراض مختلفة تهم الشباب والفتيات اهتم بها القرآن الكريم، وإن لم يخاطبهم بشأنها خطابا مباشرا، فقد وجهها إليهم باعتبارهم أهم الطوائف العاملة في المجتمع الإسلامى، وسياق الحديث في أغلبها مقصود به الفتية والشباب والفتيات وإن كان الخطاب فيه ليس موجها إليهم في الغالب.

ففى المجال الاقتصادى وتكوين الثروات المالية التي تعتبر

السبيل إلى تقدم المجتمع وتنميته ورقيه في ظل تعاليم الإسلام - نجد توجيهات عديدة تفيد الشباب كما تفيد غيرهم، منها توجيه المجتمع بما فيه من شباب إلى وجوب التحرى في طلب الرزق والحرص على أن يكون حلالا طيبا. وتحذير العاملين من تتبع خطوات الشيطان الذي يزين للناس دائما طرق الرزق الخبيثة كالسرقة والغش والرشوة والخداع والتعامل بالربا، وغيرها من الطرق التي تمحق الرزق. فيقول الرحمن الرحيم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨} [البقرة: ١٦٨]. ويقول عز وجل:{مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥} [البقرة: ٢٤٥]. ويقول سبحانه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠} [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨٠]. فهو سبحانه يحذرهم من الطرق الشيطانية في طلب الرزق ويوجه القادرين منهم إلى مساعدة غير القادرين بالقرض الحسن الخالى من الفوائد الربوية. كما يوجههم إلى الابتعاد عن طريق الربا الذي يدمر اقتصاد الأفراد والجماعات بل واقتصاد الوطن الإسلامى كله. وحتى يكون التعامل الاقتصادى سليما ونقيا وخاليا من الغش والخداع والظلم - نهى القرآن الكريم التجار عن تطفيف الميزان والكيل. وتوعد المطففين وذكّرهم بالوقوف الصعب بين يدى الله تعالى خزايا مقهورين.

فقال تعالى:{وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا

كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾} [المطففين: ١ - ٦] كما وجه القرآن الكريم الناس بصفة عامة إلى الاعتدال في الإنفاق. فالوسطية فيه بين الإسراف والتقتير هى المطلوبة من المسلمين. ولهذا فقد جعل ربنا عز وجل المعتدلين في إنفاقهم من عباد الرحمن الذين بشرهم بفضل عظيم ونعيم كبير في الآخرة علاوة على أمنهم في الدنيا بسبب هذا الاعتدال.

فقال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾} [الفرقان: ٦٧]. كما ذم القرآن الكريم المبذرين المسرفين وجعلهم إخوانا للشياطين، لأنهم يسرفون في إنفاقهم وتقتيرهم. فيضعفون المجتمع وأُسَرَهُ وأفراده، بهذا التصرف الممقوت. وفى ذلك يقول رب العالمين:{ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾} [الإسراء: ٢٧].

وقد عمل الإسلام على الحد من التسابق إلى جمع المال. وحث المسلمين على التسابق الأولى والأصلح وهو العمل من أجل الآخرة. وقد أشرنا سابقا إلى قوله تعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } [آل عمران: ١٤] وكذلك أشرنا سابقا إلى حث الإسلام على معاملة المحتاجين المسلمين بالقرض الحسن والبعد عن الربا ومضاره. وكل هذه المعاملات يحتاج إليها الشباب أكثر من غيرهم من طوائف المجتمع باعتبارهم العنصر الأكثر والفاعل في المجتمع الإسلامى..

وفى التوجيه إلى الصناعة، يتحدث القرآن الكريم عن أكثر من ميدان من ميادين الصناعة التي لو اشتغل بها الشباب لعادت عليه

بألوان كثيرة من الخير. وأنبياء الله تعالى ورسله الذين كانوا في ريعان شبابهم قد اشتغلوا ببعض هذه الصناعات - فكانوا المثل الأعلى للشباب والعاملين في المجتمعات الإسلامية..

فقد علَّم الله تبارك وتعالى داود عليه السلام صناعة الدروع. فكان أول من صنعها. ويتضح ذلك من قوله تعالى:{وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾} [الأنبياء: ٨٠]. وكان داود يومئذ في ريعان شبابه.. ومن بعده ولده سليمان عليه السلام الذي أسال الله تعالى له عين القطر أى النحاس يعمل منه التماثيل التي لم تكن قد حُرِّمت بعد، وغيرها من الأدوات اللازمة للحياة في ذلك الزمن، كأوانى الطهى والقدور الضخمة الراسية التي لا يمكن تحريكها من أماكنها، والقصاع الكبيرة التي تشبه الأحواض لاستخدامها في الأغراض المختلفة. ويقول ربنا عز وجل في ذلك:{ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٢ - ١٣].

ومن سياق الآيات السابقة ومعانيها نرى أن الله جلت قدرته قد سخر الريح لسليمان عليه السلام. يستخدمها في نقل جيوشه إلى أى مكان في العالم آنذاك. كما يستخدمها في أغراض أخرى اجتماعية واقتصادية. كما سخر الله عز وجل لسليمان عليه السلام طوائف من الجن يغوصون في البحرفيستخرجون له الجواهر واللآلئ التي تستخدم في الصناعات المختلفة.{وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾} [الأنبياء: ٨٢]. وكل هذا ليستفيد البشر من بعدهم بهذه الصناعات وينشطوها. فلا

يتكل أحد منهم على غيره. كلٌّ يعمل ما تيسر له من الصناعات.. والشباب أكثر من غيرهم معنيون بهذا النشاط الصناعى الذي يمكن أن يثرى أى مجتمع.. وكان للمرأة نصيب في هذه النهضة الصناعية. والفتيات معنيات بذلك حتى يشاركن في رقى مجتمعهم الإسلامى. فقد وجه الله عز وجل العنصر النسائى إلى صناعة الغزل لاستعماله بعد ذلك في صناعة المنسوجات المختلفة. يقول تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } الآية [النحل: ٩٢].. تلك ألوان من الصناعات لو اهتم بها الشباب والفتيات لأحسوا بالرخاء الاقتصادى ولنفعوا مجتمعهم الإسلامى نفعا عظيما مؤكدا...

وبالإضافة إلى كل مامر نجد القرآن الكريم يمنح الشباب والفتيات جرعات قوية من المنشطات العامة النافعة لهم ولغيرهم في دنياهم وآخرتهم، تحثهم على التحلى بالأخلاق الكريمة، وتحبب إليهم خصال الخير، وتنفرهم من خصال الشر.

فيقول عز وجل مخاطبا المسلمين جميعا وفيهم الشباب والشابات: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾} [آل عمران: ١٥ - ١٧].. ولا ننسى في هذا المقام أن نذكر بالوصايا العشر اللازمة لكل مسلم ومسلمة، وللصغير والكبير على حد سواء. يوصى بها الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم، شبابهم وأطفالهم. وهى مجموعة في قوله تعالى:{ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].. ولا يفوتنا كذلك أن نذكر بتلك الصفات الحميدة التي جمعتها آية واحدة من كتاب الله جل وعلا. ويبشر الله تعالى من آمن به واتصف بها. وهى قوله تعالى:{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾} [التوبة: ١١٢][1]..

ونكرر في هذا السياق ما سبق أن أشرنا إليه من صفات الخير التى يتصف بها الآباء والأمهات والشباب والفتيات. ويتسابق الجميع في سبيل الوصول إليها وتحقيقها ليحظى بالمغفرة والأجر العظيم في الآخرة علاوة على الأمن والسعادة في الدنيا.

وهى أيضا مجموعة في آية واحدة من كتاب الله عز وجل هى قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾} [الأحزاب: ٣٥].

(1) السائحون: السائرون في الأرض للغزو أو طلب العلم وللعظة والاعتبار. وقال البعض هم الصائمون. وقال البعض هم المهاجرون ورجح الشيخ المرحوم محمد على الصابونى رأى الفخر الرازى وهو الرأى الأول. ص50 من القسم الخامس من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ الصابونى.

ويطمئن الله جل جلاله البشر جميعا بما فيهم من الشباب والفتيات بأنه تعالى لن يضيع نعمة أنعمها على أحد أو قوم من الناس إلا إذا بدأوا هم أو آحادهم بالتغيير إلى الأسوأ. وهو عز وجل سميع لخلقه عليم بهم. فيقول سبحانه:{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣} [الأنفال: ٥٣]. وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن ينصر اللاجئين إليه الراغبين في طاعته والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، الرافضين لطريق الشيطان عدو الله العظيم وعدو آدم وعدو الإنسانية جمعاء وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢} [إبراهيم: ٢٢][1]..

فالحق قوى لأنه من الله القوى المتين والباطل ضعيف لأنه من الشيطان ضعيف الكيد. وانتصار الحق على الباطل أمر محتوم. فليختر الصبية والشباب طريق الحق فهو الأصلح والأنفع، وليتركوا طريق الباطل فهو الأضعف والأبتر..

وبهذا المنهج الربانى المتكامل، يكون القرآن الكريم قد أحاط الشباب والفتية والفتيات علما بأهم السبل التي تؤدى بهم إلى السعادة الدنيوية، سواء في العمل من أجل الآخرة أو من أجل الدنيا في المجال الاجتماعى والاقتصادى بكافة صوره وأشكاله وفى مجال الأخلاق الكريمة التي تقرب إلى الخير وتنفر من الشر، والتى اكتسبها الشباب من والديه، ونتيجة إيمانه بخالقه عز وجل،

(1) بمصرخكم: بمغيثكم من عذاب الله.

ومحافظته على عقيدة الإسلام الخالدة. وتلك هى الميادين الرئيسية التي يلتمس الشباب والفتية والفتيات فيها النصح والإرشاد. وللسنة النبوية المباركة برنامج مماثل ومكمل ومستفيض يجب أن نحيط بكل أبعاده إن شاء الله.

اهتمام السنة المباركة بمرحلة الصبا والشباب:

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الكريمة واهتمامها بالشباب والفتيات ومشاركتها في إسعادهم - فإننا نجد في البداية دعوة إلى العقيدة السليمة ووجوب التمسك بها، والإيمان الكامل بالله عز وجل وإخلاص العبادة له سبحانه منذ الصغر. فقد ساعد الوالدان أبناءهما وبناتهما منذ الصغر على التمسك بعقيدة الإسلام والحذر من التهويد والتنصير والتمجيس وغيرها من الاتجاهات المخالفة للعقيدة الإسلامية التي ولد الأبناء والبنات مطبوعين عليها. وقد سبق أن أشرنا إلى قوله صلى الله عليه وسلم :♂**كل إنسان يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أوينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**ـــ ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم:{فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الآية [الروم: ٣٠][1].

وفى لفتة كريمة أخرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبه خلالها الصبية والشباب إلى وجوب الاستمرار في التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في هذه المرحلة الحاسمة من عمر الإنسان حيث يظل مرتبطا بها طيلة حياته ويبشرهم صلى الله عليه وسلم بأن الشباب المتمسك بعقيدة الإسلام يتمتع في الآخرة بظل الله تعالى

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ص11من كتاب كنوز السنة - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى.

حيث لا ظل هناك إلا ظله سبحانه مادام قد نشأ على عبادة الله وشب عليها وأخلص فيها فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**ـــ (1).

فالشاب الذي ينشأ منذ صغره على حب العبادة والإخلاص فيها لله رب العلمين وحده، ويستمر على ذلك ويداوم عليه حتى انتهاء عمره - شاب ضمن الأمن والفوز بالدارين..

كما أن نزول جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم في صورة شاب ليعظ الشباب وغيرهم ويوجههم إلى حقيقة العبادة والإخلاص فيها لله عز وجل وإلى إقامة دينه الحنيف - يدل دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالشباب وحرصه على تمكين العقيدة الإسلامية من نفوسهم.

ففى جلسة ممتعة من جلسات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام الذين كانت غالبتهم من الشباب. وكان منهم عمر بن الخطاب نفسه الذي يروى هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على

(1) رواه الشيخان ص84من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**ـــ فقال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال:♂**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**ـــ قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال:♂**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**ـــ قال: صدقت، فأخبرني عن الساعة؟ قال:♂**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**ـــ، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال:♂**أن تلد الأمة ربتها، وأن تُرى الحفاة العراة رُعَاءُ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان**ـــ ثم انطلق. فلبث مليا، ثم قال (لي):♂**يا عمر أتدرى من السائل؟**ـــ قلت: الله ورسوله أعلم، قال:♂**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**ـــ [1].. فقد شاءت عناية الرحمن الرحيم، أن ينزل جبريل عليه السلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة شاب ليشجع الشباب ويدفعهم إلى السؤال عن أمور دينهم دون حرج أو خجل؛ لكي يحققوها فيسعدوا في دنياهم وآخرتهم.. وقد حدث هذا فعلا..

ومن ذلك أيضا ما رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال:♂**قل آمنت بالله ثم استقم**ـــ [2]. وفي هذا الحديث الشريف تصديق لقول المولى عز وجل:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ

(1) رواه مسلم ص131، ص132من الجزء الأول من كتاب جامع العلوم والحكم - لابن رجب - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور - أن تلد الأمة ربتها: سبدتها ومالكتها: إثارة إلى الفتح وإشتراك السود فيه.

(2) ص191من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ } [فصلت: ٣٠ - ٣٢].. ولنا وللمسلمين جميعا بما فيهم الشباب - أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قاوم الشرك والمشركين وكان على استعداد لفقد حياته في سبيل بقاء عقيدة الإسلام. إذ لما ضغط المشركون من قومه على عمه أبى طالب لكى يصرفه عن عقيدة الإسلام أو يسلمه إليهم - قال لعمه قولته المشهورة: ♂**يا عمى والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**♂ ثم استعبر وبكى ثم قام، فلما ولَّى ناداه أبو طالب فأقبل فقال: اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك إليهم أبدا [1].. وكان هذا الرد الحاسم من أبى طالب لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم بداية صمود رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه الشرك والمشركين دفاعا عن عقيدة الإسلام الخالدة...

أما في المجال الاجتماعى: فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم للفتية والشباب والفتيات والشابات برنامجا اجتماعيا يوصلهم إلى بر الأمان في دنياهم وآخرتهم بعد أن نشأهم نشأة إسلامية صحيحة. وتتضح خطوات هذا البرنامج المحمدى الاجتماعى فيما يلى:

يوجه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فتية المسلمين وشبابهم وفتياتهم إلى الحياة الدنيوية المستقرة المطمئنة والحياة الأخروية السعيدة. فيقول صلى الله عليه وسلم لمن جاءه من الشباب يسأله عن

(1) ص34من كتاب صفوة السيرة المحمدية - للشيخ المرحوم أحمد حسن الباقورى - استعبر نزلت العبرات أى الدموع على خده الشريف.

طريق السير في الإسلام:♂**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**ـــ [1]. فهذا حديث نبوى شريف شامل، جمع من الأوامر ما يصلح أن يكون أساسا لحياة دنيوية، سعيدة مستقرة، وحياة أخروية مآلها إلى السعادة والهناء؛ فتقوى الله عز وجل في كل الأمور الدنيوية، وفعل الحسنة بعد السيئة لتمحوها، ومعاملة الناس بالحسنى في كل الحالات - أمور لو فعلها شباب المسلمين وفتيانهم وفتياتهم لفازوا وسعدوا في الدارين.

ويوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الشباب والفتيات إلى خالقهم ورازقهم ومُسيِّر أمورهم سبحانه ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، وليستعينوا به في كل أحوالهم فلا يقصدوا أحدا غيره، وليسيروا على طريقه المستقيم. فيقول لهم الشافع المشفع صلى الله عليه وسلم موصيا شابا سأله عن طريق الإسلام الصحيح:♂**ياغلام: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل**ـــ [2].. فاتجاه الفتية والشباب والفتيات والمسلمين جميعا إلى الله، واستعانتهم به سبحانه في كل أمور حياتهم الدنيوية والأخروية - يحفظ العقيدة الإسلامية ويقوى الإيمان في نفوسهم..

وكثير من الشباب والفتيات تلعب بهم الأهواء، وتتغلب عليهم نزغات الشيطان إذا نظروا إلى من هو أكثر منهم حظا في المال والولد والجاه والسلطان والحسب، فيدفعهم ذلك إلى اليأس من رحمة الله تعالى خالقهم ورازقهم. وهنا يحثهم رسول الله صلى الله عليه

(1) رواه الطبرانى عن أبى ذر ص4 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى

(2) رواه الترمذى ص160 من المرجع السابق.

وسلم على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، الذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان بالله العزيز العليم. فهو يبعدهم عن الحقد والغل والحسد والضغينة بينهم وبين أهليهم وأقاربهم وأصحابهم وجيرانهم؛ فيعيش الجميع في سعادة وأمن. ويحث الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم على وجوب الإيمان بقضائه وقدره سبحانه. فهذا عبادة بن الصامت يعظ ابنه فيقول: يا بنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:♂**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟. قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**ـــ. يابنى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **من مات على غير هذا فليس منى**ـــ [1].. وفى هذا الشأن نفسه يقول ابن عمر رضى الله عنه: " والذى نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبِله الله منه، حتى يؤمن بالقدر " ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**ـــ [2]..

وهكذا يمارس الآباء والأمهات دورهم في تعميق الإيمان، والرضا بقضاء الله، لدى أبنائهم وبناتهم من الشباب والشابات مما يجعلهم دائما على طريق العقيدة الإسلامية الصحيحة، يمارسون الإيمان بالله ورسوله، وينتفعون به في الحياة الدنيا ويعملون به للدار الآخرة..

وكذلك مرت بنا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للآباء

(1) رواه أبو داود وأحمد عن عبادة بن الصامت ص494من كتاب - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
(2) رواه مسلم ص493 من المرجع السابق.

والأمهات بمتابعة أولادهم وبناتهم من الصبية والشباب وحثهم على أداء الصلوات الخمس والمحافظة عليها. فقد جاء في الجامع الصغير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**مروا أولادكم بالصلاة وهم أولاد سبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع. وإذا زوج أحدكم خادمه أو أجيره فلا ينظر إلى مادون السرة وما فوق الركبة**ـــ [1].. ولا بأس من دخول الصبية الصغار إلى المساجد ليتعودوا على أداء الصلوات الخمس في جماعة ولا مانع من تشجيع آبائهم وأمهاتهم لهم في هذا الاتجاه مع توصيتهم وإرشادهم إلى أن يلتزموا الأدب أثناء تواجدهم بالمسجد. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعترض على تواجد الحسن والحسين رضى الله عنهما، وغيرهما بالمسجد في فترة الصغر..

وقد أمرت السنة النبوية الكريمة الآباء والأمهات ببر أبنائهم وبناتهم، كما أمرت ببر الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم. وأمرت كذلك بأن يتعفف المسلمون عن نساء الناس حتى يعف الناس عن نسائهم وبناتهم. وفى هذا يقول النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :♂**عِفُّوا عن نساء الناس تَعِفَّ نساؤكم وبَرُّوا آباءكم تبركم أبناؤكم. ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك منه محقا كان أم مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد عَلَى الحوض**ـــ[2].. ففيه دعوة للتسامح والعفو وخصوصا مع من اعترف بخطئه..

وحرصا من السنة النبوية الكريمة على سعادة الأسرة المسلمة،

(1) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم عن ابن عمر ص263من الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير - للإمام مالك - تأليف أبى البركات الدرديرى - حاشية الصاوى.
(2) رواه الحاكم عن أبى هريرة ص97 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

نبرز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للأبناء والبنات بطاعة الآباء. فنظرا لارتباط المولود بأمه فترة طويلة في صغره، قد يظن بعض الأبناء والبنات أن الأم فقط هى التي تجب طاعتها، وخصوصا عندما يقرأون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**الجنة تحت أقدام الأمهات**ـــ [1]، وغيره من الأحاديث التي توصى بطاعة الأم.

وهنا تنبه السنة النبوية الكريمة أبناء المسلمين وبناتهم إلى أن طاعتهم لآبائهم واجبة؛ لأنها من طاعة الله جل وعلا. ومن هنا يقول المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم :♂**طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد**ـــ[2]. وطاعة الولد والبنت لوالديهما تكون واجبة إذا كان أمر الوالد لهما في طاعة الله تعالى - وهذا يحدث غالبا. فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وكذلك الأمر بالنسبة للأم.

وتحث السنة النبوية المباركة الفتية والشباب والفتيات على التقرب إلى الله تبارك وتعالى بالطاعة والعبادات وخصوصا العبادات التطوعية والنوافل وعلى الأخص بالليل والناس نيام. وقد سجلت كتب السنة ما ورد في شأن وصية أم سليمان عليها السلام لولدها سليمان، بقضاء وقت من الليل في طاعة الله عز وجل وعبادته. ففى هذا يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :♂**قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يابنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيرا يوم القيامة**ـــ [3]. والشاب الذي نشأ على عبادة الله

(1) ص54من كتاب مكانة المرأة في الإسلام - محمد عطية الإبراشى. ورواه الإمام أحمد ص65من المرجع السابق، الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير للإمام مالك، تأليف أبو البركات الدرديري حاشية الصاوي.

(2) رواه الطبرانى ص92 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيدد أحمد الهاشمى.

(3) رواه البيهقى عن جابر ص108 من المرجع السابق.

- وكذلك الشابة - قد يصير يوما من أولياء الله الصالحين سبحانه الذين قال الله تعالى فيهم في حديثه القدسى الذي رواه عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولإن استعاذنى لأعيذنه**ـــ [1]. فمداومة العبد المسلم، واستمراره في التقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل توصله إلى محبة الله الجليل له بل إلى أن يكون وليا من أوليائه سبحانه وتعالى، يسمع به سبحانه ويبصر به، ولا ينطق قولا ولا يعمل عملا إلا برعايته سبحانه. وتلك مرحلة عالية ومنزلة رفيعة لا يصل إليها إلا ذووا الحظوظ العظيمة والدرجات العالية عند الله الخالق الرازق العظيم. وذلك لأن النوافل توصل العابد إلى مرحلة الإحسان التي يتمتع فيها بولاية الله سبحانه له.

وقد يهتم بعض الشباب بأمهاتهم فقط لظروف معينة - ذكرنا شيئا منها فيما سبق - عديدة. ويعمدون إلى قطع الود مع آبائهم. لكن علاقة الإبن المسلم بأبيه المسلم يجب أن تدوم، وحفاظا عليها يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبناء إلى التودد لآبائهم وعدم الانقطاع عن ذلك. فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك**ـــ [2]. وقد قال ربنا العظيم:{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} الآية [النور: ٤٠].. وحتى لا ينقطع الود بين الابن وأبيه، دعت السنة النبوية المباركة الآباء والأمهات إلى إحسان أدب

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ص166 من المرجع السابق - مختار الأحاديث النبوية.
(2) رواه البخارى ص7 من المرجع السابق.

أولادهم وبناتهم، وتربيتهم على ثلاث خصال حميدة، هى: حب النبى صلى الله عليه وسلم، وحب أهل بيته الكرام، رضى الله عنهم، وتلاوة القرآن الكريم. لأن حَمَلَتَهُ والمطبقين لما فيه من شرائع وأحكام وآداب وتوجيهات - لهم شأن عظيم في الدنيا والآخرة. ولا يظنن أب أن اهتمامه بأحد أبنائه وتعليمه القرآن الكريم وما فيه من أحكام وآداب وتوجيهات، دون بقية أبنائه وبناته - قد يعفيه من الحساب على تقصيره مع بقية أبنائه وبناته. فهو مطالب بتعليمهم جميعا القرآن الكريم وغيره من العلوم النافعة. وهو مطالب بتعليمهم جميعا بآداب القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة. حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ♂**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن. فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**ـــ[1] وكلمة أولادكم تشمل البنين والبنات كما دلت على ذلك نصوص كثيرة، ولأن التطبيق يشملهما...

وفى إطار هذا المنهج النبوى الكريم في المجال الاجتماعى في تربية الأولاد والبنات، نذكّر الآباء والأمهات بوجوب العدل بين الأولاد وبين البنات أيضا. فالمطلوب عدم تمييز ولد على ولد أو بنت على أخرى أو ولد على بنت أو بنت على ولد إلا في حدود ما رسمته الشريعة الإسلامية. فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفعلت هذا بولدك "؟ قال: لا. قال:♂**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**ـــ فرجع أبى، فردَّ تلك الصدقة " [2]. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

(1) رواه الديلمى عن علىّ ص7، 8 من المرجع السابق.
(2) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير ص198 من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

قال:♂**ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء**ـــ [1].. وفى هذا الإطار النبوي للتنشئة الاجتماعية الصالحة للأبناء التي تؤدى إلى إسعادهم - تحث السنة النبوية الشريفة الأبناء على الدعاء للوالدين. ومن ذلك ما قاله النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :♂**إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق**ـــ [2]. وقد أوجب الإسلام على الأولاد والبنات الطاعة لوالديهم وبين أن جزاءها الجنة. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول:♂**من أصبح مطيعا لله في والديه، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحد**ـــ [3]. ومن هذا القبيل في بر الأبناء بالآباء، الحج عنهما إن كانا غير قادرين، أو قضاء دينهما إن كانا مدينين. وذلك سواء في حياتهما أو بعد موتهما. ومن أجل ذلك، يقول الشافع المشفع صلى الله عليه وسلم :♂**من حج عن والديه، أو قضى عنهما مغرما بعثه الله يوم القيامة من الأبرار**ـــ [4].. كما أن إنفاق الأبناء والبنات على آبائهم وأمهاتهم عند كبرهم وعجزهم، واجب شرعى إن كانوا قادرين على ذلك شرعا. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**أربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته، وأدخله جنته: من آوى مسكينا، ورحم الضعيف، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين**ـــ [5]..

وجدير بالذكر أن بر الأبناء والبنات بآبائهم وأمهاتهم أحد أربعة أشياء تحول الشقاء إلى سعادة وتزيد في العمر وتقى مصارع السوء.

بولدك: أى بسائر أبنائك.

(1) رواه الطبرانى 85 من المرجع السابق - مختار الأحاديث النبوية.

(2) رواه الديلمى من المرجع السابق.

(3) رواه ابن عساكر عن ابن عباس ص 140من المرجع السابق - وإن كان واحدا فواحد أى إن كان له والد فقط أو والدة فقط فله باب واحد.

(4) رواه الدارقطنى عن ابن عباس ص143 من المرجع السابق.

(5) من حديث رواه الحاكم ص18 من المرجع السابق.

وفى ذلك أيضا يقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم :♂**الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء إلى سعادة وتزيد العمر وتقى مصارع السوء**═ [1]..

وكذلك يجب أن يسود الحب المتبادل بين الأبناء والآباء والأمهات. على ألا يطغى ذلك الحب من الجميع على حبهم لله ورسوله. بل يجب أن يقدم الجميع حب الله ورسوله على حبهم المتبادل بينهم. إذ أن ذلك من تمام الإيمان. فالنبى الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول:♂**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**═ [2]. وكان صحابة رسول الله يحبون الله ورسوله أكثر من حبهم لآبائهم وأمهاتهم وأقاربهم بل أكثر من حبهم لأنفسهم. فهذا زيد بن الدثنة الذي أسر يوم الرجيع يشتريه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فيخرجه هو وقومه وكان معهم أبو سفيان ابن حرب. وحين قدموا زيدا ليقتل سأله أبو سفيان فقال: " أنشدك الله يازيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ - فقال زيد: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس في أهلى " فتعجب أبو سفيان من قوله وقال: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا " [3].

وفى هذا الجو من الحب المتبادل بين الآباء والأمهات وبين آبائهم وبناتهم يحث الإسلام ويرشد الآباء والأمهات على تعليم أبنائهم وبناتهم؛ حتى يسعدوا في حياتهم بتعلمهم الفنون اللازمة للحياة..

(1) رواه أبو نعيم ص91 من المرجع السابق.
(2) رواه الشيخان عن أنس ص159 من المرجع السابق.
(3) ص252 من كتاب صفوة السيرة المحمدية - للشيخ أحمد حسن الباقورى.

فالعمل والسعى للرزق واجب يدعم به الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم ويرشدونهم إلى وسائل العمل والسعى للرزق الحلال. فالعمل الشريف لازم للعيش الكريم.. ويضرب النبى صلى الله عليه وسلم لهم جميعا مثلا عاليا للسعى وراء الرزق بنبى الله داود عليه السلام. فيقول حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم :♂**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده**ـــ [1].. حتى المرأة المسلمة كانت تعمل مستظلة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد برعت نساء ذلك العصر النبوى في ميدان الغزل والنسج. ففى كتاب الله عز وجل وردت آية تشير إلى اشتغال النساء بالغزل وهو يشمل في عصرنا الحاضر إعداد خيوط الغزل ونسجها. فقد ورد في سورة النحل قوله تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾} [النحل: ٩٢]..

وقد كان نساء الصحابة، في هذا الزمن الأغر، يقمن بغزل أثواب أزواجهن. ومن المعروف أن الثوب في هذا الوقت كان يتكون غالبا من جزئين: جزء علوى يسمى الرداء، يوضع على الكتف فيغطى الظهر والبطن إلى السُّرَّة وجزء سفلى يسمى الإزار، يغطى منطقة العورة من السرة إلى مابعد الركبتين. وكان أشبه بلباس الإحرام الذي يلبسه الحاج الآن.. وقد أشارت إلى هذه المهنة التي كانت المرأة المسلمة تشارك بها آنذاك في اقتصاديات أسرتها - أسماء بنت يزيد الأنصارية في معرض حديثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سألته عما إذا كانت هى وبنات جنسها تشارك الرجال الأجر

(1) رواه البخارى عن المقدام ص128 من المرجع السابق.

والخير الذي يفعلونه من أجل الدولة الإسلامية كالجهاد والغزو ونحو ذلك من أعمال البر. فأجابها الرسول صلى الله عليه وسلم بأن: ♂**حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله**═ [1]. فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنها أتت النبى وهو بين أصحابه، فقالت: بأبى أنت وأمى يارسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك للرجال وللنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، إنا معشر النساء مقصورات، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالحج والعبادات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا - حفظنا لكم أولادكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أونشارككم في الأجر والخير.. فالتفت إليها رسول الله بكل وجهه وأثنى عليها بين أصحابه ثم قال لها صلى الله عليه وسلم :♂**افهمى أيتها المرأة وأعلمى مَنْ خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله**═

واستكمالا لمنهج السنة المطهرة لتوجيه الشباب وإسعادهم وتقويتهم - نجد الإسلام ينفر الشباب من البخل وسوء الخلق، ويحببهم في العطاء والبذل وحسن الخُلق. فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**شاب سخى حسن الخُلق، أحب إلى الله من شيخ بخيل سئ الخلق**═ [2]. كما يوجه الإسلام نظر الشباب والفتية والفتيات إلى أن البذل والعطاء يكون أحسن ما يكون من الإبن لأبيه الضعيف غير

(1) من كتاب المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر للمرحوم الدكتور عبد الله شحاتة ص73، ص74.

(2) رواه الديلمى عن ابن عباس ص88 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى - شيخ: كبير في السن.

القادر على العمل، ومن الأب لابنه الصغير الضعيف عن ممارسة العمل من أجل البحث عن الرزق، فهو غير قادر عليه؛ لأن ذلك نوع من الجهاد في سبيل الله. يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله، إنما الجهاد من عال والديه، وعال ولده، فهو في جهاد، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد " [1]. فليس الجهاد في سبيل الله مقصورا على الضرب بالسيف، وإنما من أنفق على والديه أو أحدهما ورعى شئونهما من كسبه - فهو مجاهد. ومن رعى ولده وأنفق عليه لعدم قدرته على الكسب، فهو مجاهد. ومن كف نفسه عن سؤال الناس بالعمل والكد الشريف - فهو مجاهد. ومن سعى على أرملة أو مسكين فهو مجاهد. ومن أجل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**═ [2]..

بل إن الرجل إذا أنفق على أهله وولده وخدمه وبيته، فإن ذلك يحتسب له صدقة يستظل بها يوم لا ظل إلا ظل الله تبارك وتعالى. وفى ذلك يقول حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم :♂**ما أنفق الرجل في بيته، وأهله وولده وخدمه فهو له صدقة**═[3]..

وبالتراحم الواجب تبادله بين الآباء، والأمهات من جانب وبين أولادهم وبناتهم من جانب آخر، تزيد العلاقات الاجتماعية بين الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى وتقوى، فيقوى معها الجميع؛ فلابد أن يرحم الكبير الصغير، وأن يعرف الصغير حق الكبير، وأن يحب المؤمن لغيره من المؤمنين ما يحبه لنفسه، وأن يكره لهم ما يكرهه

(1) رواه ابن عساكر عن أنس ص123 من مختار الأحاديث النبوية - ليس الجهاد: أى فقط.

(2) رواه الشيخان ص199 من المرجع السابق.

(3) رواه الطبرانى عن أبى أمامة ص128 من نفس المرجع السابق.

لنفسه. وكل ذلك من تمام الإيمان. ولابد أن يمتنع الغش بين الأفراد والأسر في المجتمع الإسلامى كله. فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول: ♂**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا، وليس منا من غشنا، ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه**═ [1]..

وكذلك يجب على الآباء والأمهات توجيه صغارهم من الشباب والفتيات إلى آداب النوم والأكل. والشرب والكلام وغيرها من الآداب الواجب اتباعها بين المسلمين صغارا وكبارا ليزدادوا قوة واحتراما.. ومن هذا القبيل في مجال آداب الأكل، توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغلام كان في حجره، وكانت يده تطيش في صحفة الطعام وهو عمر بن أبى سلمة. ويروى عمر رضى الله عنه ماحدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فيقول: كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش في الصحفة فقال صلى الله عليه وسلم :♂**ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**═[2]. وقد تحدثنا عن بعض هذه الآداب وذكرنا أمثلة لها وخصوصا آداب الأكل والشرب في الباب السادس.

ونذكر هنا أمثلة لآداب النوم والكلام. فمن الآداب التي حرص الإسلام على تزويد الشباب وغيرهم من الناس بها، في مجال النوم - قوله صلى الله عليه وسلم :♂**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي**

(1) رواه الطبرانى عن ضمرة ص125 من المرجع السابق.
(2) رواه الشيخان عن عمربن أبى سلمة ص85 من المرجع السابق. مما يليك: من أمامك.

أرسلت» [1].. ومن ذلك أيضا، قوله صلى الله عليه وسلم :♂**إذا اضطجعت فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»** [2].. وعن آداب الكلام يقول صلى الله عليه وسلم :♂**رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت عن سوء فسلم»** [3].. ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :♂**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم»** [4].. ومن ذلك أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»** [5].

وفى نطاق هذا المنهج الاجتماعى المحمدى المبارك تحذير من فتنة الشيطان للصغير والكبير والشاب والشيخ والفتيات والسيدات، وتوجيه لكيفية التغلب على هذه الفتنة الشيطانية. فإذا أصابت المسلم صغيرا أو كبيرا (وكذلك المسلمة) - فتنة في أهله أوماله أو ولده أو جاره فيجب أن يفزع إلى العبادات التطوعية القولية والفعلية، فضلا عن تأديته للعبادات المفروضة. فليعالج فتنته بصلاة التطوع؛ ففيها تقرب إلى الله عز وجل. وليعالجها بصيام التطوع؛ ففيه تقرب إلى خالقه سبحانه وتعالى. وليلجأ أيضا إلى صدقة التطوع فإن المؤمن يستظل بهذه الصدقة يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله تبارك وتعالى، فليعطها للفقراء والمساكين والمحتاجين وإذا لم يستطع فعل شئ من ذلك - فليعمد إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ففى كل ما

(1) رواه البخارى ومسلم ص8من كتاب مختار الأحاديث النبوية.
(2) رواه أبو نصر السنجرى عن عمر ص10 من المرجع السابق.
(3) رواه ابن المبارك عن خالد بن أبى عمران ص80 من نفس المصدر.
(4) رواه أحمد ص38 من نفس المصدر.
(5) رواه أبو نعيم ص142 من نفس المصدر.

مر مايصرف عن المؤمن والمؤمنة الصغير منهم والكبير، والشاب والشابة - تلك الفتنة التي ألمت به. وفى ذلك يقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم :♂**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**♂ (1). ففى هذا الحديث الشريف برنامج عمل للأسرة - فيما بينها ولها مع غيرها من الجيران والأصدقاء - فيه نفع للجميع..

ويدخل في هذا الإطار الاجتماعى الذي ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتية والشباب والشابات توجيهه صلى الله عليه وسلم لهم إلى عدم العبث بمشاعر كبار السن أو بهم أو معهم، وعدم السخرية والاستهزاء بهم، وعدم الامتناع عن قضاء حوائجهم. فينبه نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى أداء حقوق كبار السن، خاصة أن تصرفات بعض الشباب الطائشة مع هؤلاء الكبار تنتظرهم عندما يكبرون، ويصيرون مثلهم محتاجين إلى المساعدة، والمعاملة الحسنة، فيعبث بهم غيرهم من الشباب. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**ما أكرم شاب شيخا لسنه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**♂ (2).. ويحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من السخرية بكبار السن واستعمالهم في قضاء حوائجهم، وعدم التأدب معهم لأن كل ذلك يعد من علامات الساعة. فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد ولا يصلى فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف، وأن يُبْرِدَ الصبيُّ الشيخَ**♂ (3)..

(1) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة عن حذيفة ص102من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الترمذى عن أنس ص128من المرجع السابق - قيض: هيأ.

(3) رواه الطبرانى عن ابن مسعود ص136 من المرجع السابق - يبرده: يستعمله في

ومن الأبعاد الهامة في المنهج الاجتماعى المحمدى للنهوض بالفتية والشباب والفتيات - الإحسان إلى اليتيم واليتيمة؛ حتى يعيشا سعيدين في المجتمع الإسلامى المتكافل. وفى ذلك يقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :♂**من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو كهاتين في الجنة** وقرن بين أصبعيه صلى الله عليه وسلم [1].. وقد نبهت السنة النبوية المباركة الآباء والأقارب والرجال الكافلين والنساء الكافلات لليتامى - إلى أن أكل مال اليتيم يعتبرمن السبع الموبقات التي تقود الآكل إلى نار جهنم، إذا لم يتب قبل موته ويرد المظالم إلى أهلها. فقال صلى الله عليه وسلم :♂**اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** [2]. وقد أشرنا سابقا إلى منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة في رعاية اليتيم...

وإذا انتقلنا إلى المجال الاقتصادى: في رحاب السنة النبوية المباركة، وجدناها توجه الشباب إلى الأسلوب الاقتصادى الأنفع والأفضل الذي يزيد من دخله زيادة شرعية. كما تحذر الشباب وغيرهم من الطرق الشيطانية الشريرة المغرية التي تفوت عليهم الاستقرار والسعادة المنشودة في الحياتين، الدنيا والآخرة. وقد وردت في كتب السنة كثيرمن الآثار التي تناولت جوانب متعددة من المجال الاقتصادى الذي يمكن أن يتجه إليها الشباب باعتبارهم القوة العاملة الأساسية في المجتمع الإسلامى، والقادرة على العمل في

قضاء حوائجه.

(1) رواه الحكيم عن أنس ص138 من المرجع السابق.

(2) رواه الشيخان 6 من المرجع السابق.

جميع مجالات الحياة الاقتصادية..

وقد حثت السنة النبوية المطهرة جميع الشباب على السعى في طلب الرزق وعدم الاتكال على الآباء أو غيرهم في هذا المجال. ومما ورد في ذلك الحديث النبوى الشريف الذي أشرنا إليه سابقا ولا مانع من تكراره. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده**♂ (1).

وسيأتى - إن شاء الله - أن الله عز وجل ألان الحديد لداود عليه السلام، فكان يعمل الدروع ويبيعها ويأكل من ثمرها ويتصدق. وكان ابنه سليمان عليه السلام يعمل، ولم يتكل على مال أبيه داود عليه السلام. فقد امتثل لأمر ربه سبحانه حيث قال له ولأهله:{ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } الآية [سبأ: ١٣]. وقد أسال الله - القادر على كل شئ - له عين القطر أى النحاس المذاب، وسخر له فريقا من الجن يعملون ما يشاء من الأوانى وغيرها، وفريقا آخر يغوصون في البحر فيخرجون له من اللآلئ ما يدخل في العديد من الصناعات.. وكان محمد صلى الله عليه وسلم يعمل في التجارة، ولم يعتمد على مال جده أو عمه.. وهكذا يضرب أنبياء الله ورسله، المثل الأعلى للشباب وغيرهم في العمل والكد في طلب الرزق رغم مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى. فالمسلمون أولى بهذا الاهتمام بالبحث عن الرزق الحلال الطيب بالعمل الجاد المثمر، وخصوصا الشباب منهم.. ونقف وقفات قصيرة عند كل نشاط من النشاطات الاقتصادية التي تعد ميدانا حيويا للشباب وغيرهم للسعى في طلب الرزق الحلال...

(1) رواه البخارى عن المقدام ص128 من المرجع السابق.

ففى مجال الزراعة: أوصت السنة النبوية الكريمة، كما أوصى القرآن الكريم - الشباب وغيرهم أن يقلبوا جنبات الأرض ويسعوا إلى تعميرها وتنميتها بزراعتها والانتفاع بها. وبما ينتج فيها من خيرات متنوعة، ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيم إلا كان له به صدقة**ـــ [1] ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :♂**من أحيا أرضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق**ـــ قال مالك رحمه الله والعرق الظالم كل ما احتُكرَأو أُخِذَ أو غُرِسَ بغير حق[2]..

ومن هذا القبيل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :♂**من عمَّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها**ـــ [3] كما أوصت السنة النبوية المباركة الشباب وغيرهم بالاجتهاد في جمع الأرزاق والبحث عنها في مناكب الأرض ووضحت لهم أن الرضا بالرزق القليل الناتج عن كد وعمل، خير من تعريض المسلم نفسه لمذلة سؤال الناس. ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : **"** لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيأتى بحزمة حطب فيبيعها فيكُفَّ اللهُ بها وجهه - خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه **"** [4]..

وفى مجال التجارة وتصريفها في أنحاء الأرض، ضرب رسول الله المثل الأعلى في ذلك. فقد تاجر في أموال السيدة خديجة رضى الله عنها قبل أن يتزوجها وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم. وكان من

(1) رواه الشيخان عن أنس ص134 من مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.
(2) يحى عن مالك عن هشام عن عروة عن أبيه ص28، ص29 من الجزء الرابع من شرح الزرقانى عن موطأ مالك حاشية الصاوى.
(3) رواه البخارى ص138 من مختار الأحاديث النبوية.
(4) رواه البخاري ومسلم ص118 من المرجع السابق.

أسباب إصرار أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها على الارتباط به صلى الله عليه وسلم، واتخاذه زوجا لها - أمانته التي اشتهر بها في التجارة وفى المعاملات بين الناس. وقد كان صلى الله عليه وسلم معروفا بين الناس بالأمين. وكان صلى الله عليه وسلم يتنقل بعروض التجارة بين قبائل العرب، ويذهب إلى الشام وغيرها من بلاد العالم لتصريف التجارة بالطرق المشروعة..

وكان صلى الله عليه وسلم لا يلجأ إلى الطرق الملتوية غير النظيفة في ذلك، كالغش والربا ونحو ذلك من الأساليب غير الشرعية في تصريف عروض التجارة. وكان صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين عامة والشباب منهم خاصة من هذه الطرق غير النظيفة. فقد حذر صلى الله عليه وسلم من التعامل بالربا وقال صلى الله عليه وسلم في هذا المجال:♂**الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أَرْبَى، والآخذ والمعطى سواء**♂ (1)..

واعتبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أكل الربا من السبع الموبقات. وقد سبق ذكر الحديث الدال على ذلك. كما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حذر من احتكار السلع، وحرمان المسلمين من ذوى الدخل المحدود منها بذلك، وخصوصا الأطعمة والسلع الضرورية لحياة المسلمين وأمنهم الدنيوى. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :♂**من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس**♂ (2).. والاحتكار: أن يجمع التاجر السلعة من الأسواق ويخبئها لتقل في السوق ثم يرفع سعرها فيشتريها الغنى ولا يستطيع

(1) رواه مسلم ص79 من نفس المرجع السابق مختار الأحاديث النبوية.
(2) رواه أحمد في مسنده ص138 من المرجع السابق.

الفقيرأو ذو الدخل المحدود شراءها. كما يفعل الآن تجار الأسمنت والحديد واللحوم وغيرها من السلع الضرورية لحياة البشر.. وقد يلجأ الفقير إلى طرق تضر به وبأسرته وبمجتمعه لكى يحصل عليها..

وقد أثبت التاريخ الإسلامى صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر. فقد " نقل ابن حجر الهيثمى من رواية الأصبهانى: أن طعاما ألقى على باب المسجد، فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو أمير المؤمنين، فقال له بعض الذين معه: يا أمير المؤمنين قد احتُكِر. فقال: من احتكره؟ فقالوا: فرُّوخ وقلان مولى عمر بن الخطاب، فأرسل إليهما فأتياه. فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ فقالا: يا أمير المؤمنين، نشترى بأموالنا ونبيع. فقال عمر رضى الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ♂**من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس**═. فقال عند ذلك فروخ - وهو مولى عثمان بن عفان -: يا أمير المؤمنين، فإنى أعاهد الله وأعاهدك على ألا أعود إلى احتكار طعام أبدا. فتحول إلى أرض مصر. وأما مولى عمر فقال: نشترى بأموالنا ونبيع. قال أبو يحيي أحد رواة الحديث: إنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا " (1)

وقد ذكر كثير من الفقهاء أن الإصرار على احتكار السلع إضرار زائد بالعباد، يجيز لولى الأمر أو من ينوب عنه من القضاة ومن في حكمهم أن يعزر المحتكر المصر على موقفه، بعد أن

(1) ص95 من كتاب التعامل التجارى في ميزان الشريعة - الطبعة الأولى: 1980 - للدكتور يوسف قاسم. - فروخ: مولى عثمان بن عفان. مشدوخا: متسعا بياض جبهته من شدة جذامه أو مشقوق الوجه.

يوجهه إلى البيع ورفع الظلم؛ فيؤمر المحتكر ببيع ما يفيض عن قوته وقوت أهله. فإن لم يمتثل عُزِّر[1].. وقد فعل ذلك علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فقد عزر محتكرا عاد عليه التعزير بضرر كبير.. فقد روى عبد الرازق عن المعتمد التميمى عن ليث بن أبى سليم قال: أخبرنى أبو الحكم أن عليا ابن أبى طالب أحرق طعاما احتكر بمائة ألف.. وهو تعزير موجع للتاجر المحتكر.. ويستفاد مما قاله الفقهاء أن لولى الأمر أن يُكرِهَ المحتكر على بيع ما عنده بقيمة المثل. وإلا عُزِّر[2]..

ومن الجدير بالذكر أن التشدد من ولى الأمر في هذا الشأن مباح بل مطلوب وواجب؛ لأن الاحتكار خطيئة كبرى في حق الفرد المسلم غير القادر على الشراء بثمن مضاعف، وفى حق المجتمع الإسلامى كله. ومما ورد في كتب السنة عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**من احتكر فهو خاطئ**ـــ [3]. وقد ورد بلفظ:♂**لا يحتكر إلا خاطئ**ـــ [4]..

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :♂**من احتكر حكرة يريد بها أن يغلى على المسلمين فهو خاطئ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله**ـــ [5]. ومن ذلك قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**الجالب مرزوق والمحتكر ملعون**ـــ [6]. ومما ورد أيضا في شأن احتكار طعام

(1) ص83 من نفس المصدر السابق.. والتعزير: عقاب يفرضه الحاكم أو من يحل محله على المحتكر حسب الأحوال والقرائن.
(2) نفس الصفحة من نفس المصدر. وقد ذكر ذلك ابن القيم
(3) رواه مسلم وأبوداوود عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبد الله العدوى.
(4) في لفظ لمسلم وأبى داوود والترمذى وابن ماجةص77 من نفس المصدر.
(5) رواه أحمد بسند عن أبى هريرة ص77، ص78من المصدر السابق.
(6) رواه ابن ماجة والحاكم والدارمى وغيرهم بسند عن ابن عمر ص78 من كتاب التعامل التجارى في ميزان الشريعة - للدكتور يوسف قاسم.

المسلمين قول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه**♂ [1].. والإسلام يطلب من التاجر المسلم شابا كان أم كبيرا، أن يكون صادقا في أقواله وأفعاله الخاصة بالتجارة. ويبين لهم فوائد الصدق في التعامل مع البشر. وفى السنة النبوية الكريمة أدلة على ذلك، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا، إلا من اتقى الله، وبر وصدق**♂ [2]. ومنها أيضا قول النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**♂ [3]..

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجار أن التاجر الذي يصف بضاعته باليمين الكاذبة ليروجها، لا يجد في ذلك ربحا ولا بركة. فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**♂ وفى رواية:♂**ممحقة للبركة والربح**♂[4]...

وهكذا يتضح لنا أن شريعة الإسلام تريد من التاجر الشاب أو الكبير أن يتعامل مع الناس بصدق بعيدا عن الكذب والغش والخداع، وبعيدا عن الاحتكار المدمر للسلعة والكسب والمدمر للتاجر ذاته والضار بالأسرة والمجتمع الإسلامى...

وفى مجال الصناعة: توجه السنة النبوية الكريمة الشباب وغيرهم إلى أهمية السير في هذا الاتجاه. وقد كان لبعض أنبياء الله تعالى دور في رواج بعض الصناعات. فقد علم الله عز وجل داود

(1) رواه أحمد والحاكم وابن أبى شيبة والبزار وأبو يعلى 79 من المصدر السابق.
(2) رواه الترمذى ص44 من مختار الأحاديث النبوية.
(3) رواه الترمذى ص62 من المرجع السابق.
(4) رواه البخارى ومسلم ص69 من المرجع السابق.

عليه السلام - وكان شابا - صناعة الدروع التي كانت تحصنه وتحصن الجنود والناس في زمانه من خطر الإصابة في الحروب. وفى تفسير قوله تعالى: {وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ} [الأنبياء: ٨٠].

- يقول قتادة رضى الله عنه: " أول من صنع الدروع داود وكانت صفائح فهو أول من سردها وحلقها " [1].. ومن المعروف أن الله تبارك وتعالى أكرم نبيه داود عليه السلام بأن ألان له الحديد فكان يعمل منه الدروع السابغات أى التي تشمل وتغطى الجسم كله. وكان يقدر نسجها حتى تتلاءم حلقاتها بتوجيه من ربه جل وعلا. ويظهر ذلك ويتضح من تفسيرقوله تعالى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾} [سبأ: ١٠ - ١١]. قال المفسرون: " كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجين يعمل به مايشاء. ويصنع الدرع في بعض يوم يساوى ألف درهم فيأكل ويتصدق " [2]. وفى إحكام نسجها يقول الصاوى:{وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ} [سبأ: ١١] أى اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم لغِلظها، ولا تُثقِلَ حاملها، واجعل الكل بنسبة واحدة " [3]..

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الله تعالى وجه داود إلى العمل الصالح وعدم الاتكال على مال أبيه أو اتكال أبنائه على ماله؛ ليضرب ذلك النبى الكريم مثلا أعلى للشباب - وقد كان شابا كما أشرنا - في العمل الصالح المستمر وبذل الجهد في سبيل العيش الكريم، وعدم الاتكال

(1) ص19 من القسم التاسع من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى.
(2) القرطبى 226/14. ص7من القسم التاسع من المرجع السابق.
(3) حاشية الصاوى على الجلالين 294/3.

على مال أبيه، والتقاعس عن العمل الشريف الذي يدر عائدا شرعيا. وفى ذلك يقول رب العالمين سبحانه:{ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } الآية [سبأ: ١٣]..

وفى إشارة قرآنية كريمة إلى بعض مآثر سليمان بن داود عليهما السلام، وعدم اتكاله على مال أبيه وثرائه، يقول عز وجل: { وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣} [سبأ: ١٢ - ١٣].. قال المفسرون: " أجرى الله لسليمان النحاس، كما ألان لداود الحديد - آية معجزة ظاهرة. وسخر له الجن تعمل بأمره وإرادته ما يشاء مما يعجز عنه البشر ". وكان هؤلاء الجن يعملون لسليمان عليه السلام ما يريد من القصور الشاهقة والتماثيل العجيبة من النحاس والزجاج، قال الحسن: " ولم تكن يومئذ محرمة.

وقد حرمت في شريعتنا سدا للذريعة لئلا تعبد من دون الله، وقصاع ضخمة تشبه الأحواض، وقدور كبيرة ثابتات لا تتحرك؛ لكبرها وضخامتها. وقال ابن كثير: والقدور الراسيات أى الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها[1]..

وكان الجن يغوصون في الماء ويدخلون في أعماق البحار ليستخرجوا لسليمان عليه السلام الجواهر واللآلئ التي تستخدم في صناعات عديدة.. ولعل البعض يتساءل عن تسخير الجن لسليمان

(1) مختصر تفسير ابن كثير - للشيخ محمد على الصابونى، وتفسير الآيتين السابقتين 12، 13 من سورة سبأ موجود في ص8 من القسم13 من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ المرحوم محمد على الابونى.

عليه السلام ويقولون كان الأولى بسليمان أن يفعل كل ذلك بنفسه. ونقول لهم: إن سليمان عليه السلام تعرض لفتنة من الله عز وجل فنجح في الاختبار، وكان عبدا قانتا لله عز وجل فتوجه إليه سبحانه وطلب العون منه حتى لا يتكل على مال أبيه، وطلب منه سبحانه المغفرة، وقال:{رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} [ص: ٣٥]. فاستجاب الله سبحانه وتعالى له، وجعل الجن تأتمر بأمره فكان يأمرهم بفعل ما يشاء مكرمة وهبة من الله الجليل، اختصها به عليه السلام. وكذلك سخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث تَوَجَّهَ تختصر له الوقت والجهد...

وكان هذا الجهد الكبير من بعض أنبياء الله تعالى في مجال الصناعة ليقتدى بهم قومهم، ومَن يأتى بعدهم من الأمم وخصوصا أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي خاطب ربُّها أبناءها قائلا لهم:{هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥} [الملك: ١٥]. وفى زماننا هذا يَسْخَرُ بعض الجهلة، الذين لا يعرفون هذه الحقيقة، من كل شاب أو رجل مفكر وطنى يطرح فكرة استغلال البحار والأنهار لزيادة الدخل الوطنى في البلاد الفقيرة التي منحها الله عز وجل نعمة البحار والأنهار.. فهؤلاء الجهلة يتكاسلون عن جلب الأرزاق ونفع بلادهم الفقيرة من ثروات الأنهار والبحار، ويحثون غيرهم على التكاسل، وعدم استغلال هذه الثروة الهامة المتواجدة في تلك البحار والأنهار؛ لزيادة الدخل القومى، بل يحثون غيرهم على التقصير في خدمة وطنهم الفقير.

وإذا كان شباب الكفار يعملون ويجتهدون ويبنون المبانى الفخمة؛ كالقصور الحصينة وهم لا يحتاجون إليها لسكن ونحوه، كما فعلت ثمود، قوم صالح، الذين وبخهم نبيهم لأنهم كانوا يعملون فقط من

أجل الدنيا، ويتركون الآخرة، فلا يعملون لها - فأولى بشباب المسلمين وفتياتهم، أن يعملوا للدنيا والآخرة معا، وأن يواجهوا الصعاب والتحديات، في سبيل من يأتى بعدهم من ذريتهم الضعيفة، حتى يقوى هؤلاء وأولئك. فقد كان قوم صالح عليه السلام ينحتون صخور الجبل ويبنون فيه البيوت العالية دون حاجة إليها، إلا أن يتعالوا بها على الناس.

وقد قال فيهم ربهم عز وجل:{وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩][1].. وسار على نهجهم مِنْ قبلهم - قوم عاد فكانوا يبنون الأبنية الشاهقة في الأماكن المرتفعة من الطريق لمجرد اللهو والعبث. تاركين العمل من أجل الآخرة. فوبخهم نبيهم هود عليه السلام. وقال لهم الله تعالى على لسان نبيه:{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾} [الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩][2]...

وشبابنا اليوم أولى بهذا التحذير من هؤلاء وأولئك. وفى هذا المجال يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم شباب وشيوخ المسلمين من العمل للدنيا ونسيان الآخرة، فالدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فيقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :♂**كونوا في الدنيا أضيافا، واتخذوا المساجد بيوتا، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكر والبكاء، ولا تختلف بكم الأهواء؛ تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون، وتُؤَمِّلون ما لا تدركون**[3]..

فالأولى بشباب المسلمين وفتيانهم وفتياتهم، أن يضعوا كل هذه

(1) البيوت الفارهة: الشاهقة في العلو
(2) مصانع: بيوتا شاهقة مجهزة مزخرفة
(3) رواه أبو نعيم عن الحكم بن عمير ص113 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

الحقائق أمامهم، وأن يعلموا أنه ليس عيبا أن يعمل الإنسان لدنياه، إنما العيب أن يترك العمل من أجل آخرته. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﷺ **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** ﷺ [1]..

وهذا الحديث النبوي الشريف تصديق لقول الله تبارك وتعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾} [القصص: ٧٧]... فرسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين - والشباب منهم - إلى العمل من أجل الدنيا حتى ينشأوا أقوياء أغنياء لا يعتمدون على معونة من غيرهم، حتى لو كان هذا الغير آباءهم. وذلك في الوقت الذي يعملون فيه أيضا من أجل الآخرة، حتى يلقوا ربهم سبحانه وهو راض عنهم.. وهذا عكس ما يفعله الكفار والمنافقون الذين يعملون فقط من أجل الدنيا، تاركين العمل من أجل الآخرة. فيقول الله أصدق القائلين سبحانه فيهم:{ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥ - ١٦]..

وتوجه السنة النبوية الكريمة مَنْ يبحث عن السعادة سواء أكان شابا أم شيخا أم فتاة أم أما - إلى أن يلتمسها في أربع: أولها: زوج أو زوجة صالحة تعينه على نوائب الدهر ومصائبه. وثانيها: أولاد وبنات أبرار يبرون آباءهم وأمهاتهم، في حياتهم وبعد موتهم. وثالثها: أصدقاء وخلطاء صالحون، وفيهم يقول النبى صلى الله عليه

(1) رواه ابن عساكر 25 من المرجع السابق.

وسلم : " لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقى " [1]، ورابعها: أن يكون رزقه في بلده، وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارا، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده " [2]..

وفى لفتة نبوية كريمة، يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من الرشوة باعتبارها طريقا مختصرا لتحقيق الأهداف، ولو على حساب جهد الآخرين المستحقين لتحقيق هذه الأهداف والأولى بها. فهؤلاء الآخرون ضعفاء لا يقدرون على المحافظة على حقوقهم، وعلى أكتافهم يصل هؤلاء المغتصبون لحقوقهم، في وسط مجتمع ضعيف متخاذل يأخذ بأسباب الجاهلية، لا يصل إلى هدفه فيه إلا قليل من متسلقى أكتاف الضعفاء العاملين بجد وأمانة. فهو مجتمع لا يعترف بحقوق الضعفاء..

فطموح الشباب والفتية والفتيات نحو مستقبل أفضل يتميز بوضع مالى مشرف - يجب أن يكون مصحوبا بجهد مخلص شرعى؛ لتحقيق هذا الطموح..

ومن أجل ذلك يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من التكاسل عن تحقيق الأهداف النافعة الشرعية، ومن اختيار طريق الرشوة لاختصار جهدهم، على حساب الضعفاء المخلصين في عملهم والعاملين لتحقيق طموحاتهم الإسلامية في الحياة. ولهذا يقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم :♂**لعن الله الراشى**

(1) رواه أبو داود في سننه ص158 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الديلمى عن علىّ ص18من المصدر السابق.

والمرتشى والرائش الذي يمشى بينهما[1] فالراشى هو ذلك الدَّعِيّ الذي يدعى أحقية شيء لا يمكنه الوصول إليه لأنه ليس من أهله. والمرتشى هو الذي يساعد ذلك الدعى على حساب الآخر الضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن حقه أمام ذلك الدعى الجبان. وأما الرائش فهو الواسطة بين الراشى والمرتشى، يسير بينهما لتحقيق منفعة لا قيمة لها؛ بتضييع حق لضعيف وإلحاقه بدعى لا يستحقه...

ولهذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الطريقة الوضيعة لتحقيق الأهداف؛ لأنها طريقة غير مشروعة، فيها تثبيط لمن يعملون بصدق وأمانة، وتشجيع لأدعياء يحبون الوصول على أكتاف غيرهم من العاملين الشرفاء...

وهكذا يفتح الإسلام طريق القوة والسعادة أمام المسلمين جميعا، والشباب منهم على وجه الخصوص، ليمارسوا دورهم في الحياة لإسعاد أنفسهم وإسعاد غيرهم، وليُكَوِّنُوا أساسا صالحا للأجيال المسلمة القادمة من بعدهم، على هَدْيٍ من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم...

* * *

(1) رواه أحمد عن ثوبان ص119 من المصدر السابق.